العلم طريق الجنة

كل شيء إذا أردت أن تدخل فيه فعليك بالباب وباب الله ﷻ هو العلم، والعلم هو النور الذي أرسله الله ﷻ مع أنبيائه لينشروه بين عباده، وكلما ازداد الإنسان علماً ازداد اعتماداً على الله ﷻ لأنه يصبح على ثقة أن أمره بيد مولاه وأن ما أصابنا ما كان ليخطئنا وما أخطأنا ما كان ليصيبنا.

عن صفوان بن عسال المرادي رضي الله عنه قال: أتيتُ النبي ﷺ وهو في المسجد متكئٌ على بُردٍ له أحمرَ، فقلت له: يا رسول اللهِ إنّي جئتُ أطلبُ العلمَ، فقال: «**مرحباً بطالبِ العِلمِ إن طالب العلم لتحفُّهُ الملائكةُ وتظلّهُ بأجنحتِها، ثم يركبُ بعضهُم بعضاً حتى يبلغوا السماءَ الدنيا من محبّتهم لما يطلبُ**»[1].

شرح الحديث:

يدلنا الحديث على معانٍ عظيمة وسامية:

فهل رأيت ديناً أو نظاماً أو قانوناً يعظم العلم كالإسلام؟

انظر إلى حضرة النبي ﷺ كيف يرحِّب بطالب العلم ويبشِّره أن الملائكة رغم قربها من الله ﷻ ومرتبتها عنده تضع أجنحتها لطالب العلم لتشعره أنه يسير بنور الله في الدنيا والآخرة، وأنه تحت العناية الربانية، وإن مات وهو يطلب العلم مات شهيداً.

---

(١) حديث حسن رواه أحمد والطبراني.

الدليل القرآني

العلم هو النور الذي بعث الله تعالى به رسله وأنزل به كتبه، به يهتدي في ظلمات الجهل لقوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المَائدة، الآيتان: ١٥، ١٦] .

وقال سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعرَاف، الآية: ١٥٧] .

ما يتمنى ابن مبارك رضي الله عنه

عن ابن مبارك رضي الله عنه أنه قيل له: لو أوحى الله إليك أنك ميت العشية ما أنت صانع اليوم؟

قال: أطلب فيه العلم.

خصائص الأمة المحمدية

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يُميِّز العلماء فيقول تعالى لهم: يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم لأعذبكم اذهبوا فقد غفرت لكم»**[(١)].

عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يجاء بالعالم والعابد يوم القيامة، فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: قف حتى تشفع للناس»**[(٢)].

نصائح لقمان الحكيم لابنه[(٣)]

قال لقمان لابنه: يا بني! ما بلغت من حكمتك؟

---

(١) رواه الطبراني.
(٢) رواه الأصبهاني.
(٣) آباء وأبناء، الدكتور فاروق حمادة.

قال: لا أتكلف ما لا يعنيني.

قال: يا بني! إنه قد بقي شيء آخر جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن الله يحيي القلوب الميتة بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء.

يا بني: لا تتعلم العلم لثلاث ولا تدعه لثلاث:

لا تتعلمه: لتماري به، ولا لتتباهى به، ولا لترائي به.

ولا تدعه: زهادة فيه، ولا حياء من الناس، ولا رضا بالجهالة.

يا بني: لا تجادل العلماء فتهون عليهم ويرفضوك، ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك، ولكن اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم ولمن هو دونك، فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم ولزمهم واقتبس من علمهم في رفق.

يا بني: إن الحكمة أسكنت المساكين مجالس الملوك.

الإحسان لأهل العلم

كان أحد العلماء ماراً في الطريق وكان متعباً، فصادف أحد الأغنياء راكباً هو وخدمه فلما رأى العالم يمشي على قدميه أمر أحد خدمه أن يعطيه مركوبه فيركبه، فنام هذا الغني تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قامت وأن الناس يجوّزون على الصراط وهذا الغني يمشي وقد أرهقه التعب، والتفت فرأى ذلك العالم بمريديه وتلامذته راكبون على أسرة من نور، فأمر أحد من معه أن يُركب الغني فأركبه، ثم قال العالم للغني: كما أعطيتنا أعطيناك ولو زدتنا لزدناك[1].

مقام العالم عند النبي ﷺ

قال عليه الصلاة والسلام: «**إن فضل العالم على العابد كفضلي على**

(١) حكايا الصوفية.

أدنى رجل من أمتي»[١] فالعلم بمنزلة الشجرة والعمل بمنزلة الثمرة، واعملوا وأخلصوا فإن خيار الأمة علماؤها. لقد روي أن الله تعالى أوصى إلى داود عليه السلام فقال: يا داود تعلم العلم النافع، قال: إلٰهي وما العلم النافع؟ قال: أن تعرف جلالتي وعظمتي وكبريائي وكمال قدرتي على كل شيء فإن هذا الذي يقربك إليَّ[٢].

ماذا تكسب بمجالسة العلماء

قال الفقيه: من انتهى إلى العالم وجلس معه ولا يقدر أن يحفظ العلم فله فضائل:

١ ـ ينال فضل المتعلمين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم**».

٢ ـ ما دام جالساً عنده كان محبوساً عن الذنوب والخطايا.

قال لقمان لابنه: يا بني إذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك وإن تك جاهلاً علموك ولعل الله تعالى يطلع عليهم برحمة فيصيبك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله تعالى فلا تجلس معهم، فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك وإن تك جاهلاً يزدك غيًّا ولعل الله يطلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم.

٣ ـ إن جلس معهم فنزل عليهم الرحمة فتصيبهم ببركتهم. قال عليه الصلاة والسلام: «**ما جلس قومٌ يذكرون الله تعالى إلا ناداهم منادٍ من السماء قوموا فقد بدلت سيئاتكم حسنات وغفرت لكم جميعاً، وما قعدت عدة من أهل الأرض** ـ أي جماعة ـ **يذكرون الله تعالى إلا قعدت**

(١) ابن ماجه.
(٢) حالة أهل الحقيقة مع الله.

معهم عدتهم من الملائكة ـ أي جماعة من الملائكة ـ[١] **تستغفر لهم وتشهد لهم عند الله تعالى»**.

٤ ـ كل من يقتدي بهم فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً.

عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر لأن تغدو فتُعلّم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عُمل به أو لم يعمل به خير من أن تصلي ألف ركعة**».

٥ ـ لو غفر لواحد منهم يشفع لهم.

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يبعث الله العالم والعابد يوم القيامة فيقال للعابد: ادخل الجنة، ويقال للعالم: اثبت حتى تشفع للناس بما أحسنت أدبهم**»[٢].

٦ ـ يدخل في طريق المتعلمين والصالحين.

عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من أمتي من لم يُجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه**»[٣].

٧ ـ كل قدم يرفعها ويضعها تكون كفارة للذنوب ورفعاً للدرجات.

عن أبي واقد الليثي أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأما أحدهم فرأى فرجة في الحلقة فجلس إليها، والآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟ فأما الأول فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الثاني فاستحى من الله أن يؤذي الناس فاستحى الله منه، وأما الثالث فأعرض، فأعرض الله عنه**»[٤].

---

(١) رواه أحمد، قال الهيثمي في مجمع الزوائد.
(٢) رواه البيهقي وغيره.
(٣) رواه أحمد والطبراني.
(٤) البخاري.

الميراث الحقيقي

روي عن أبي هريرة ﷺ أنه دخل السوق فقال: أنتم هاهنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد، فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فرجعوا وقالوا: يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم.

فقال لهم: وما رأيتم؟

قالوا: رأينا قوماً يذكرون الله تعالى ويقرؤون القرآن، وقوماً يتذاكرون في الحلال والحرام.

فقال: ويحكم ذلك ميراث رسول الله ﷺ[1].

لمحة عن حياة أبي هريرة الدوسيّ الذي حفظ للأمة الإسلامية ما يزيد على ألف وستمئة من أحاديث النبي ﷺ

لا ريب أنك تعرف هذا النجم المتألق من صحابة رسول الله ﷺ، وهل في أمة الإسلام أحد لا يعرف أبا هريرة؟!

كان الناس يدعونه في الجاهلية ـ عبد شمس ـ فلما أكرمه الله بالإسلام وشرفه بلقاء النبي ﷺ سماه: عبد الرحمٰن.

فقال أبا هريرة: نعم عبد الرحمٰن بأبي وأمي أنت يا رسول الله.

وكان ينادى أبا هريرة فقد كانت له في طفولته هرة صغيرة يلعب بها فجعل أقاربه ينادونه أبا هريرة نسبة لمحبته لهرته.

أسلم أبو هريرة على يد الطفيل بن عمرو الدوسيّ، وقد انقطع الفتى ـ أبو هريرة ـ لخدمة رسول الله ﷺ وصحبته، فاتخذ المسجد مقاماً والنبي معلماً وإماماً.

وقد أحب أبو هريرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه حباً خالط لحمه ودمه، فكان لا يشبع من النظر إليه ويقول: ما رأيت شيئاً أملح ولا

(١) صور من حياة الصحابة.

أصبح من رسول الله ﷺ حتى لكأنَّ الشمس تجري في وجهه.

وكان يحمد الله تبارك وتعالى على أن منَّ عليه بصحبة نبيه واتباع دينه ويقول:

الحمد لله الذي هدى أبا هريرة للإسلام.

الحمد لله الذي علم أبا هريرة القرآن.

الحمد لله الذي منَّ على أبي هريرة بصحبة محمد ﷺ.

● أحب أبو هريرة العلم حباً شديداً.

حدَّث زيد بن ثابت قال: بينما أنا وأبو هريرة وصاحب لي من المسجد ندعو الله تعالى ونذكره إذ طلع علينا رسول الله ﷺ وأقبل حتى جلس بيننا فسكتنا فقال: «**عودوا إلى ما كنتم فيه**»، فدعوت الله أنا وصحبي قبل أبو هريرة وجعل الرسول يؤمن على دعاءنا ثم دعا أبو هريرة فقال: اللهم إني أسألك ما سألك صاحباي وأسألك علماً لا ينسى.

فقال: عليه الصلاة والسلام: ـ «**آمين**» ـ.

فقلنا: ونحن نسأل علماً لا ينسى، فقال: «**سبقكم بها الغلام الدوسيُّ**».

العلم علمه الصبر

وقد عانى أبو هريرة بسبب انصرافه للعلم وانقطاعه لمجالس رسول الله ﷺ ما لم يعانه أحد من الجوع وخشونة العيش.

روى عن نفسه قال: إنه يشتد بي الجوع حتى إني كنت أسأل الرجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن الآية من القرآن وأنا أعلمها حتى يصحبني معه إلى بيته فيطعمني. وقد اشتد بي الجوع ذات يوم حتى شددت على بطني حجراً فقعدت في طريق الصحابة فمر بي أبو بكر فسألته عن آية في كتاب الله، وما سألته إلا ليدعوني فما دعاني. ثم مرّ بي عمر بن الخطاب فسألته

عن آية فلم يدعني أيضاً فلما مرّ بي رسول الله ﷺ فعرف ما بي من الجوع فقال: «**أبو هريرة**».

قلت: لبيك يا رسول الله وتبعته، فدخلت معه البيت فوجدت قدحاً فيه لبن فقال لأهله: «**من أين لكم هذا؟**»

قالوا: أرسل به فلان إليك.

فقال: «**أبا هريرة انطلق إلى أهل الصُفة فادعُهم**». فساءني إرساله إياي لدعوتهم وقلت في نفسي: ما يفعل هذا اللبن مع أهل الصفة، وكنت أرجو أن أنال منه شربة أتقوى ثم أذهب إليهم فأتيت أهل الصفة[١]. ودعوتهم فأقبلوا، فلما جلسوا عند رسول الله ﷺ قال:

«خذ أبا هريرة أعطِهم»، فجعلت أُعطي الرجل فيشرب حتى يروى إلى أن شربوا جميعاً فناولت القدح لرسول الله ﷺ فرفع رأسه إليّ مبتسماً وقال: «**بقيت أنا وأنت**».

قلت: صدقت يا رسول الله.

قال: «**فاشرب**» فشربت، ثم قال: «**اشرب**» فشربت، وما زال يقول: «**اشرب**» فأشرب حتى قلت: والذي بعثك بالحق لا أجد له مساغاً ـ أي لم يستطع الشرب من كثرة ما شبع ـ فأخذ الرسول الكريم الإناء وشرب من الفضلة.

ولم يمض زمن طويل على ذلك حتى فاضت الخيرات على المسلمين وتدفقت عليهم غنائم الفتح فصار لأبي هريرة مال ومنزل ومتاع وزوج وولد.

العلم علَّمه التواضع

وقد ولّي أبو هريرة المدينة من قِبل معاوية بن أبي سفيان فلم تبدل

(١) أهل الصفة: ضيوف الله من فقراء المسلمين ممن لا أهل لهم ولا ولد، يجلسون على صفة في مسجد رسول الله، فسموا بأهل الصفة.

الولاية في سماحة طبعه وخفة ظله شيئاً.

فقد مرَّ بأحد طرقِ المدينة ـ وهو وال عليها، وكان يحمل الحطب على ظهره لأهل بيته ـ فمر بثعلبة بن مالك فقال له: أوسع الطريق للأمير يا ابن مالك فقال له: يرحمك الله أما يكفيك هذا المجال كله؟

فقال: أوسع الطريق للأمير وللحزمة التي على ظهره.

العلم علّمه التقى

وقد جمع أبو هريرة إلى وفرة علمه وسماحة نفسه التقى والورع، فكان يصوم النهار ويقوم ثلث الليل، ثم يوقظ زوجته فتقوم ثلثه الثاني، ثم توقظ هذه ابنتها فتقوم ثلثه الأخيرة، فكانت العبادة لا تنقطع في بيته طوال الليل.

العلم علّمه الخوف من الله تعالى

وقد كانت لأبي هريرة جارية فأساءت إليه وغمت أهله فرفع السوط عليها ليضربها به ثم توقف وقال: لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك كما آذيتنا ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك وأنا أحوج ما أكون إليه فاذهبي أنت حرة.

وكانت ابنته تقول له: يا أبتي إن البنات يُعيرنني فيقلْنَ: لما لم يلبسك أبوك الذهب؟ فيقول يا بنية قولي لهن: إنّ أبي يخشى عليّ حرّ اللهب.

العلم علّمه حب الإنفاق

بعث إليه مروان بن الحكم مائة دينار ذهباً، فلما كان الغد أرسل إليه يقول: إن خادمي غلِطَ فأعطاك الدنانير وأنا لم أردك بها وإنما أردت غيرك.

قال أبو هريرة وهو في حيرة: أخرجتها في سبيل الله ولم يبت عندي منها دينار فخذ من حقي في بيت المال، وإنما فعل ذلك مروان ليختبره فلما تحرَّى الأمر وجدهُ صحيحاً.

العلم علمه برّ أمه

وقد ظل أبو هريرة ما امتدت به الحياة باراً بأمه، فكان كلما أراد الخروج من البيت وقف على باب حجرتها وقال: السلام عليك يا أمتاه ورحمة الله وبركاته.

فيقول: رحمك الله كما ربيتني صغيراً، فتقول: ورحمك الله كما بررتني كبيراً، ثم إذا عاد إلى البيت فعل مثل ذلك.

وقد كان أبو هريرة يحرص أشد الحرص على دعوة الناس إلى بر آبائهم وصلة أرحامهم.

فقد رأى ذات يوم رجلين أحدهما أسنُّ من الآخر يمشيان معاً فقال لأصغرهما: ما يكون هذا الرجل منك؟

قال: أبي، فقال: لا تسمه باسمه، ولا تمشي أمامه، ولا تجلس قبله.

العلم علمه حب لقاء الله ﷻ

ولما مرض أبو هريرة مرض الموت بكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا هريرة؟

فقال: أما إني لا أبكي على دنياكم هذه ولكني أبكي لبعد السفر وقلة الزاد، لقد وقفت في نهاية طريق يُفضي بي إلى الجنة أو النار، ولا أدري من أيهما أكون.

وقد عاده مروان بن الحكم فقال له: شفاك الله يا أبا هريرة.

فقال: اللهم إني أحب لقاءك فأحب لقائي وعجل لي فيه، فما كاد يغادر مروان داره حتى فارق الحياة.

رحم الله أبا هريرة رحمة واسعة فقد حفظ ما يزيد على ألف وستمائة وتسعة من أحاديث رسول الله ﷺ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً[١].

(١) صور من حياة الصحابة.

ما يرشد إليه الحديث تربوياً ودعوياً:

١ ـ نأخذ ونتعلم من فوائد العلم أن العالم يصبح من أهل إرث النبوة لأن الأنبياء لم يورِّثوا درهماً ولا دينار وإنما أورثوا العلم وأي شرف أعظم من هذا الشرف.

٢ ـ أن الله تولّى طالب العلم وجعله من أحبابه لقوله ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ويلهمه رشده**».

أي أن الله ﷻ يضع نوره في قلب عبده فيعمل به ويعلمه للناس من علوم فقهية أو علوم إيمانية.

٣ ـ ومن فوائد العلم أن يتعلم صفات الله ﷻ ومن عرف سعة رحمته أثمرت سعة الرجاء عنده، ومن عرف شدة نقمته أثمرت معرفته شدة الخوف من العقاب وأورثه كثرة البكاء من خشية الله ﷻ، وأورثه العلم إحياء المراقبة وإصلاح القلب والإخلاص في العبادة.

عرفت من أنا ولما أتيت إلى الوجود ماذا أريد وما مطلوب مني، أحلى ما في الوجود مجلس العلم.

obeikandl.com